ما لا يَسَع المُتَرجِمُ جَهلَه

د. هلال عبد الرازق صادق
الأكاديمية الدولية للعلوم الإسلامية

ملخص البحث:
تعرف الترجمة بأنها عملية النقل التي تحدث من لغة إلى لغة أخرى، و هي عملية غاية في الصعوبة و التعقيد إذا لم يدرك القائم بها أن وظيفته لا تقتصر على نقل الكلمات فحسب، بل تشمل أيضا نقل الأفكار و الثقافة و العادات اللغوية و المعاني الصادرة من جزئيات أخرى غير الألفاظ المكتوبة أو المنطوقة، و المعرفة بتلك الدقائق كاملة أو الإلمام ببعضها دون بعض هو السبب الأساسي في وجود نصوص متفاوتة في صحتها و ضبطها، و كذلك وجود مترجمين متفاوتين في القدرة على إخراج النص المتعادل مع نص اللغة الأخرى.
الكلمات المفتاحية: ثنائيات (اللغة و الكلام) (اللغة و ثقافة اللغة) (اللغة المنطوقة و اللغة المكتوبة) – النبر و التنغيم- المعاني الصرفية.

Abstract

Translation is defined as the transfer process that occurs from one language to another, and it is an extremely difficult and complex process if the person performing it does not realize that his job is not limited to transferring words only, but also includes transferring ideas, culture, linguistic customs, and the meanings emerging from details. Other than written or spoken words, complete knowledge of those details or familiarity with some of them. It is the main reason for the existence of texts and translator that vary in their authenticity and accuracy.

Keywords: dualities (language and speech) (language and culture of language) (spoken language and written language) - stress and intonation - morphological meanings.

مقدمة:
هذا البحث يهدف – قدر الإمكان- إلى تقديم مجموعة من الأساسيات التي تُهِم أي مُتَرجِم، و خاصة من العربية و إليها، و الكثير من اللغويين و المفكرين المعنيين تناولوا إشكاليات الترجمة و لكن القليل منهم تطرق إلى وضع حلول محددة لهذه الإشكاليات، و المقصود من الحلول المحددة هو وضع تصور عام يحتوي على مجموعة من التفاصيل التي يجب أن يتبناها المُترجم أثناء عملية الترجمة، و هذا التصور العام ينطلق من أن هناك لغة تحتوي على مجموعة كبيرة من الألفاظ و التعابير و التراكيب و المباني، أما التفاصيل -و هي المحتوى الأهم- فتنطلق من ثقافة اللغة نفسها و الفعل الكلامي و الدلالة المكتسبة من المستوى الصوتي و الصرفي و التركيبي، و علامات الترقيم في النص المكتوب و النبر و التنغيم و الأداء في النصوص المنطوقة، و كثير من المؤثرات المهمة في عملية الترجمة، و قبل أن نعرض لهذه التفاصيل يجب علينا أن نستعرض بعض المشكلات التي يقع فيها المترجم ليكون لدينا شكل كائن نستطيع أن نطبق عليه بعض تلك الحلول.

مشكلات الترجمة

بادئ بدء يجب أن نؤكد أن الترجمة ليست علمًا، و إنما هي إبداع و فن، و إذا كانت الترجمة مجموعة من القواعد و التعاليم الموجودة في الكتب، فإن هذا يقربها إلى الترجمة الإلكترونية التي لا تترك لفظًا إلا و وضعت معادله في اللغة الأخرى، و هنا تظهر لنا أول مشكلة، و هي: -

- أن المُتَـرجِم لا يجـرؤ علـى إغفـال لفـظ أو حـرف فـي الجملـة أو الـنص المـراد ترجمتـه، و يعتقـد أن هـذا الحـرص مـن الأمانـة التـي يجـب أن يلتـزم بهـا، ولكـن هيهـات، حيـث إن الواقـع الفعلـي للنصـوص المترجمـة يثبـت أحيانًـا أن المُتـرجِم انـتقص مـن المعنـى عنـدما أراد الحفـاظ علـى كـل كلمـة فـي الـنص الأصـلي، و لنمثـل لهـذا بجملـة إنجليزيـة تتكـون مـن 5 وحـدات، و معادلهـا العربـي الـذي يتكـون مـن 3 وحدات:

My father is a teacher

أبي معلم

فالجملة الإنجليزية تحتوي على الفعل المســاعد و أداة التنكير و هذا لا يوجد في اللغة العربية، كذلك فإن النص العربي أحيانا يتضــمن كلمات مكررة لفظا أو معنى، و أقصــد بالتكرار اللفظي التوكيد الذي يعد من التوابع في النحو، و أقصد بالتكرار المعنوي الترادف الذي يتكرر أحيانا بغرض التوكيد أيضا.

و من خلال تجربتي الشــخصــية في المراجعة اللغوية لكثير من النصــوص المترجمة وجدت أن الحرص على استيعاب كل صغيرة و كبيرة في النص المترجم يؤدي إلى تفكك وحدة النص و مخالفته للذوق اللغوي.

- من مشـكلات الترجمة أيضـا عناية المترجم بالمعادل اللفظي الشـكلي، أي أنه يبحث عن المقابل للفظ ما في اللغة المترجَم إليها، متجاهلًا المعنى الذي أداه اللفظ داخل النص المترجم، فالبحث عن مقابل لفظي لكلمة (رحمة) سـتكون نتيجته كلمة (mercy) في الإنجليزية، على الرغم من أن الكلمة العربية قد تؤدي في السياق معنى مختلفًا عن ذلك المعنى الذي ستؤديه معادلتها الإنجليزية.([1])
- أيضـا من مشـكلات الترجمة عدم اعتداد بعض المترجمين بالتطور اللغوي، فمما لا شـك فيه أن في كل لغة مجموعة من الألفاظ التي اندثرت و أضـحت غير مسـتعملة، و حل محلها ألفاظ أخرى أسـهل في النطق و الأداء، و على الجانب الآخر فإن هناك مجموعة جديدة دخلت إلى اللغة لتعبر عن معاني مستحدثة، فمما لا شك فيه أن الإنجليزية التي كتب بها شكسبير روميو و جولييت، ليست هي الإنجليزية التي يؤلف بها النصــوص الأدبية الآن، و في العربية هناك مجموعة كبيرة من قرارات المجمع اللغوي التي تدلل على هذا التطور، و من أشــكال التطور أيضًــا التغير الدلالي و اتســاع المعنى و رقيه و انحطاطه.([2])
- و بعد عرض بعض مشـكلات الترجمة نسـرد فيما يأتي بعض الأسـاسـيات المهمة التي يجب أن يعيها المترجم.

(1)

ثقافة اللغة

ثنائية اللغة و ثقافة اللغة تشــبه ثنائية اللغة و الكلام، فاللغة هي مجموعة القواعد و القوانين الصــارمة الموجودة في كتب النحو و الصــرف و المعاجم، و يمكن تعلمها في مدة زمنية محددة، أما الفعل اللغوي أو الكلام لا يمكن ارتباط تعلمه بالمدة نفسها التي حددناها للغة، لأن الكلام فعل مرتبط بثقافة اللغة الناتجة من مجموعة المعتقدات و القيم و العادات والأحداث التاريخية و العوامل البيئية و النفسية و السياسية و الاقتصــادية التي تخص مجتمع ما، فتجعل منه جماعة لغوية ذات خصــائص معينة، و ثقافة اللغة نجدها متمثلة في التعبيرات الاصطلاحية و الأمثال و الحكم و الكنايات و الرموز و الإسقاطات و الاستشهادات، فثقافة اللغة هي المعنى المجازي الذي يسـتوعب الأفكار و المشـاعر و الانفعالات، و لا يجب أن يكتفي المترجم بمعرفته لقواعد اللغة و ألفاظها المعجمية دون ثقافتها، فالترجمة في الأســاس هي نقل للأفكار و هذه الأفكار – التي خرجت في وعاء لغوي- تكون مُحمَّلة بثقافة مجتمعية نشأ فيها كاتب النص، و إذا قام المترجم بنقل الكلمات دون الأفكار خرج النص المترجَم فاقدًا للمعنى أو لجزء منه، فكيف يترجم المُترجِم عبارات، مثل: (إذا حضر الماء بطل التيمم)، (فتح الله عليك) ، (أنتِ طالقٌ بالثلاثة)، بعيدًا عن معرفته بالثقافة الإسـلامية، و كيف سـيترجم تعبيرات مثل: (السـوق السـوداء) أو (غَسـيل الأموال) أو (حيتان السـوق) بعيدًا عن معرفته بالظروف الاقتصـادية المحيطة بالجماعة اللغوية. كما أن في ثقافة اللغة يوجد محظورات لغوية لا تسـتخدمها اللغة صـراحة و تكنِي بألفاظ دالة عليها، و على المترجم أن يعي كل ذلك

[1] - محمد عناني – فن الترجمة – الشركة العالمية المصرية للنشر – الطبعة الخامسة 2000م.ص 16

[2] - أحمد مختار عمر – علم الدلالة – عالم الكتب – الطبعة الخامسة 1998م- ص 245.

أثناء ترجمة النصـــوص، و في الجدول التالي بعض التعبيرات و الكنايات التي لا يمكن ترجمتها إلا من خلال السياق الاجتماعي للغة:

التعبير	المعنى الدلالي المعتمد على السياق غير اللغوي والمقام الاجتماعي	المعنى المعجمي([3])	ترجمة العبارة اعتمادا على اللغة الوسيطة(الإنجليزية)
عض بنانه	الندم	عضض:العَضُّ: الشدُّ بالأَسنان عَلَى الشَّيْءِ بنان: وَالْبَنَانَةُ الإِصْبَعُ الْوَاحِدَةُ	Bite his fingertips
زمّ شفتيه	الاشمئزاز	زَمَّ الشيءَ يَزُمُّه زَمّاً فانْزَمَّ: شَدَّهُ شفتيه: الشَّفَتانِ مِنَ الإِنسان: طَبَقا الفمِ	Hold his lips
قطب حاجبيه	الغضب	قطب: جمع ومزج	Fitch his eyebrows
الألوان : الأسود- الأبيض – الأحمر – الأصفر – الأخضر	الحزن- (السلام – الصفاء) – (الحب – الدماء) – (المرض – الغيرة) – الرخاء	المعاني المعروفة للألوان	الترجمة المعروفة للألوان

وهناك الكثير من الأمثلة الكلامية التي لا يمكن الوصول إلى معناها الدلالي أو ترجمتها من خلال المعجم، فلا يمكن مثلًا ترجمة الطُرَف (النكات) التي ترتبط كل الارتباط بثقافة اللغة، فلن يضحك المتلقي على نكتة تتحدث عن شخص مشهور في مجتمع الكاتب، و لا يعرفه المتلقي، أو تتضمن حدثًا تاريخيا أو مجموعة عادات أو قيم لا يعتنقها المتلقي، حتى أن الطعام و أنواعه و روائحه يدخل في ثقافة اللغة.

و من أشهر الأمثلة على ذلك كلمة (مَعلِش) التي تعني (عذرًا) في اللغة الفصحى، و هي منحوتة من عبارة (ما علي شيء). فهذه الكلمة يقولها المتحدث إذا ما تسبب في ضرر غير مقصود لشخص ما، و يقولها أيضا إذا ضره هذا الشخص نفسه بشكل غير مقصود، و يقولها إذا طلب شيئا، و يقولها إذا خسر شيئا، و هذه المعاني لا يستطيع أن يدركها المترجم إلا إذا غاص في ثقافة تلك اللغة التي سيترجم منها أو إليها، لأن كل المتعادلات الثقافية تشترك في جميع اللغات، لأن اللغة كنشاط إنساني ترتبط بحياة الإنسان و وجوده.([4])

(2)
القيم الصوتية

اللغة في أحد تعريفاتها، هي معنى داخل صـــوت([5])، و هذا تبرز قيمة الصـــوت في أداء المعنى، و الأصوات تتمايز قوة و ضعفًا داخل الكلمة، و ذلك التمايز بلا شك له أثر في المعنى، و على المترجم أن يكون ملمًا بصفات الأصوات و تأثيراتها في المعنى، و يحاول أن يستخدم المفردات التي تتمايز أصواتها من اللغة المترجم إليها، و قد أجاد المترجم Hilary Wayment عندما ســلك هذا الســبيل في ترجمته لكتاب (الأيام) الذي كتَبَه طه حسين عميد الأدب العربي، عند ترجمة عبارة(فتوقف صوت الرجل عند السين في كلمة (نستعين) فيختار المترجم كلمة:(succor) و معناها الغوث أو المدد و بها الصوت s ،

[3] - ينظر لسان العرب لابن منظور في كل مادة من المواد المذكورة.
[4] - ينظر: طارق سعد شلبي – تحسين الأداء اللغوي – دار الفردوس للطباعة – (د.ت) ص 100، 101
[5] - أحمد مختار عمر – علم الدلالة – عالم الكتب – الطبعة الخامسة 1998م- ص 45.

حيث إنه عمد إلى استخدام المعادل الصوتي لحرف (السين) ثم أشار إلى توقف الرجل عند الصوت، ليحافظ على المعنى الذي أراده الكاتب.([6])

و يزداد أثر القيم الصوتية في الترجمة في النصوص المنطوقة، فإن الصوت في اللغة المنطوقة يحمل دلالات أكثر، حيث إنه ينقل انفعالات الناطق، فالنبر مثلا، و هو الضغط على أحد الأصوات أو المقاطع بالكلمة، ينقل حالة من الشدة المصحوبة بالتأكيد أو التهديد أو الغضب، و التنغيم يساعد المترجم في الفصل بين العبارات الدالة على التعجب أو الاستفهام أو الاستنكار، فغياب علامات الترقيم و علامة التعجب و الاستفهام في النص المنطوق، يُعَوَض بتلك الوسائل الصوتية.

(3)

القيم الصرفية

على المترجم أن يكون على دراية بالفروق بين المعاني الصرفية، و المعاني الصرفية تشكل قيمًا مهمة في دلالة النص، و من الأخطاء التي وقع فيها المترجمون و تخص المستوى الصرفي، (الاشتقاق) فأحيانًا لا يستطيع المترجم الوصول إلى الأصل الصحيح للكلمة، فيقوم بترجمتها بمعنى آخر، فقد أخطأ أحد المترجمين لكتاب (ألف ليلة و ليلة) في ترجمة كلمة (مَلِيحة) حيث ترجمها إلى (salt) معتقدًا أن الكلمة مشتقة من الملح و ليس من المَلاحة([7])، و مثله الفعل (هان) الذي يترجمه البعض بمعنى لان و البعض بمعنى قبل الذل، لأن اشتقاقه مُلبِس، فهان يهين، إذا لان، ومنه قيل: هين لين، أما هان يهون من الهوان.([8])

كذلك من الأشياء التي يجب على المترجم الانتباه إليها معاني الأوزان، لأن الأبنية الصرفية في اللغة العربية ليست كأي لغة أخرى، حيث إن كل بناء وحده له معنى، و داخل السياق يكون له معنى آخر، و أوضح مثال على ذلك، قوله تعالى في سورة الواقعة: "وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠"

فالفعل على هذا الوزن (يَتَفَعَّل) أدى معنى التأني في الاختيار، و هذا لأنه خص به (السابقون) الذين سيجدون في الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت، فهم يأخذون وقتًا في الاختيار و هذا على سبيل التشريف، كما أن هناك أوزان تؤدي معنى التظاهر بالحدث، مثل (تَفَاعَل) فنقول: تَمَارَض، تَكَاسَل، تَنَاوَم، أي تظاهر بالفعل.

و وزن المبالغة له دلالة الكثرة و التكرار، و وزن الصفة المشبهة له دلالة الثبات و الدوام، و المصادر الثلاثية لها دلالات خاصة و كل هذه دقائق صرفية تؤثر في دلالة النص و توجه معناه، لذلك على المترجم أن يكون ملِمًا بها.

(4)

القيم النحوية

لا شك أن لكل لغة نظام تركيبي خاص بها، و أنماط التركيب الأساسية في اللغة العربية تتمثل في الجمل ذات المعنى، أو الجمل المفيدة، و هي الجمل الاسمية و الفعلية، و على المترجم أن يتتبع تلك الجمل في النص المراد ترجمته، و ينظر في تمامها، و ترتيب وحداتها أو عدم انتظامها في الترتيب، و إيجاد معادل لها في اللغة المراد الترجمة إليها، فإن الإنجليزية مثلًا لا تعرف الجمل الاسمية، إنما الجمل فيها فعلية تبدأ بفاعل، كما أن تأخير أحد أركانها قد يؤدي إلى فساد المعنى([9])، فمن الممكن تأخير الفاعل و تقديم المفعول في اللغة العربية دون أن يتغير المعنى و هذا ليس متاحًا في الإنجليزية، كما أن العربية لديها علامات الإعراب التي تحافظ على أداء المعنى، ففي جملة مثل:

أكل الفأرَ القطُّ

نجد أن علامات الإعراب حددت من الفاعل و من المفعول، و إذا ترجمنا هذه الجملة للإنجليزية فلن يكون فيها ما يميز الفاعل من المفعول، خاصة أن الإنجليزية لا تسمح بتأخير الفاعل، فوفقًا لقانون الإنجليزية سيكون الفأر هو الفاعل.

---

[6] - فاطمة محمد محجوب – دراسات في علم اللغة- بحوث تطبيقية – المكتبة الأزهرية للتراث – الطبعة الأولى 2011.

[7] - طارق سعد شلبي- تحسين الأداء اللغوي – دار الفردوس للطباعة – (د.ت) ص103

[8] - محمد بن أحمد بن هشام بن خلف اللخمي(المتوفى ٥٧٧ هـ) - شرح الفصيح - المحقق: د. مهدي عبيد جاسم الطبعة الأولى، 1998م- ص215

[9] - ينظر دراسات في علم اللغة – مرجع سابق ص16.

كما أن العربية تميز بين المذكر و المؤنث، و كذلك بين المفرد و المثنى و الجمع، و أحكام العدد، و الاسم بعد كم الاستفهامية الذي يكون مفردا في اللغة العربية و جمعًا في الإنجليزية، و كذلك ترتيب الجملة الوصفية، فالصفة في اللغة العربية تتبع الموصوف، بعكس كثير من اللغات التي يأتي فيها الموصوف بعد الصفة.

(4)
قيم غير لغوية

في ترجمة الأفلام نجد خللا كبيرًا في الترجمة وهذا الخلل ليس راجعا إلى جهل المترجمين بالكلمات المُترجَمة، إنما أكثرهم يترجم الأوراق دون أن يرى المشاهد، و هنا قد يفقد النص جزءًا كبيرًا من المعنى، و هذا الجزء الكبير يتمثل في الحركة الجسدية المصاحبة للحدث الكلامي، و الإشارة أو لغة الجسد تستطيع أن توصل جزءا كبيرا من المعنى، و قد أكد ابن جني في كتابه الخصائص هذا المعنى، حين قال:" " قال لي بعض مشايخنا أنا لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة"([10]) و هذا الذي نقصده بالضبط، فأنت لا تستطيع أن تفهم شخصًا يكلمك من وراء ستار، فهناك بواطن لا تظهر لك إلا من خلال الرؤية لتعبيراته و حركة عينه و يده و أصابعه، و قد فطن القدماء من اللغويين إلى أهمية الإشارات و الحركة في إيضاح معنى العبارات و كشف بواطنها، و امتلأت كتبهم بنماذج من الشعر و النثر تدل على أهمية الرؤية و الحركة في توصيل المعنى، مثل قول الشاعر:([11])

العين تبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بغض إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامته ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

و في هذا الذي ذكرناه رسالة مهمة للمترجم، فإن ترجمة الإشارات الجسدية جزء مهم في عملية الترجمة، و الإشارات الجسدية لغة لها أصول و تمتاز بالاجتماعية و الخصوصية، فالإشارات و إن كان معظمها يتفق عند كثير من الجماعات اللغوية، إلا أن بعضها يختلف من لغة إلى لغة، و على المترجم أن يعرف معاني الإشارات في كل لغة يترجم منها أو إليها.

و الحديث في هذا المقام يطول، لأن اللغة الموازية أو لغة الجسد علم مستقل بذاته له مؤلفاته و مراجعه، لذلك نكتفي بما ذكرنا في هذا الجزء و نصل إلى نهاية بحثنا الذي **كانت أهم نتائجه:**

- من الممكن أن يستغنى المترجم عن بعض الألفاظ في سبيل إكمال المعنى.
- مهمة المترجم الأولى هي نقل الأفكار و ليس الألفاظ، و الأفكار يجب أن تكون متعادلة مع أفكار اللغة المترجم إليها، و يكون معتمدًا في ذلك على ثقافة اللغة.
- معرفة المترجم بقوانين اللغة و ألفاظها لا يكفي لإخراج نص متكامل المعنى، بل الأهم ثقافة اللغة المنقول منها النص.
- النص المنطوق تظهر فيه القيم الصوتية التي تتمثل في النبر و التنغيم و إظهار قوة الأصوات و دلالتها.
- و هذه المعايير الصوتية تتحقق في النص المكتوب من خلال علامات الترقيم و الوقف.
- المعرفة النحوية لا تتعلق فقط بالمكونات و التركيبات إنما تتعلق بالمعاني التي تؤديها وحدات الجملة و ترتيبها.
- المعاني الصرفية تتحكم في معنى النص و لذلك على المترجم الإلمام بها في جميع أحوالها.
- السياق يعطي الألفاظ معاني متعددة، و اللفظ الواحد يختلف معناه وفقًا للسياق، لذلك يجب أن يعي المترجم قيمة السياق في تحديد معاني الألفاظ.
- هناك قيم غير لغوية تتحكم في المعنى مثل اللون و الرمز و التعبيرات الجسدية.

[10] - ابن جني أبوالفتح بن عثمان- الخصائص – تحقيق محمد علي النجار-
[11] - المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) – البيان و التبيين- الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ- 84/1.